مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد: 01 يناير 2022 ص ص: 468-482
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

سيكولوجيا الاستعمار من منظور فرانز فانون

The psychology of colonialism from the perspective of Franz Fanon

ط.د. كمال رمضاني [1]♦ عبد المجيد عمراني [2]

مخبر حوار الحضارات والعولمة جامعة الحاج لخضر باتنة1

ramdanikamel2019@gmail.com[1]

Amrani_abd@yahoo [2]

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/08/07 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص باللغة العربية: تهدف هذه المقالة إلى تتبع السيرة الذاتية (لفرانز فانون Frantz Fanon)، منذ ولادته في جزر المارتينيك الفرنسية وصولاً إلى أن يصبح أحد أهم المفكرين والفلاسفة المناهضين للكولونيالية المعاصرة، حيث وظّف علم النفس في تفسير إحدى أبرز ظواهر العلاقات الدولية وهي الظاهرة الاستعمارية، خاصة وأنه عاش سنواته الأخيرة في الجزائر، كطبيب نفساني في مستشفى البليدة. وهي التجربة التي سمحت بتحليل علاقة المستعمِر بالمستعمَر، انطلاقاً من تعريفه للاستعمار بأنّه "حالة عُصابية" كان لها التأثير العميق في نفسية المستعمِر والمستعمَر في الآن ذاته .

كلمات مفتاحية: الظاهرة الاستعمارية ؛ التحليل النفسي ؛ الزنوجة ؛ الاستلاب ؛ اوكتاف مونيي.

Abstract: This article aims to trace the biography of Frantz Fanon, from his birth in the French Martinique Islands until he became one of the most important anti-colonial thinkers and philosophers of the day, where he employed psychology in the interpretation of one of the most prominent phenomena of international relations, which is the colonial phenomenon, especially since he lived His last years in Algeria, as a psychiatrist in the Blida hospital, an experience that allowed to analyze the relationship of the colonized with the colonized, based on his definition of colonialism as a "neurotic

♦ المؤلف المرسل

state" that had a profound effect on the psyche of the colonizer and the colonized at the same time.

Keywords: Colonial Phenomenon ; Psychoanalysis ; Negligence ; Abuse ; Octave Mooney.

مقدمة:

ان حركة الاستعمار الأوروبية التى استعبدت شعوب الأرض كانت تقدم نفسها باعتبارها موجة حضارية جديدة تسعى لجلب الحداثة والتطور لبقاع العالم المتخلف. بالرغم من أنها فى حقيقتها جاءت كنتيجة حتمية لحالة نفسية أخرى نشأت فى فترة الاكتشافات العلمية الضخمة والثورة الصناعية التي ولَّدت في الإنسان الأوروبي حالة استعلائية جعلته ينظر للآخر بعين الدونية والاحتقار.

ولذلك تتجه هذه القراءة النفسية للظاهرة الاستعمارية في هذا المقال، الى دراسة بعض جوانب الذهنية الاستعمارية وما يرتبط بها من انفعالات وأفعال (سلوك) تتسم بالعدوانية والعنف والأنانية، كما يتم إبراز بعض جوانب ذهنية وانفعالات وأفعا الضحية أو المعتدى عليه وهي الشعوب المستعمرة أو التي وقع عليها الاحتلال.

وقد استخدم "فرانز فانون" نظرية التحليل النفسي لإبراز عواقب الاستعمار السيكولوجية والاجتماعية، وذلك بالتركيز على الزنوجة باعتبارها خاصية عرقية مبينا أهميتها بالنسبة للمشروع الاستعماري القائم على التشويه والقمع، وكذا قابلية المستعمر الزنجي للاقتناع بارتداء قناع ابيض عن طريق تبني لغة المستعمر وثقافته في محاولة لمواجهة الشعور بالدونية .

وبناء عليه يمكننا أن نتساءل : هل تمكن "فرانز فانون" من تقديم قراءة نفسية لظاهرة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ؟ وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية : كيف وظف فرانز فانون التحليل النفسى لفهم هذه الظاهرة ؟ وما مدى تأثير هذه القراءة على الدراسات مابعد الكولونيالية ؟ إن تفسير الظاهرة الاستعمارية يقوم على فرضية أن للاستعمار وللقوة الدافعة له بنية ذهنية تتسم بالعدوانية والتعالي والشعور بالتفوق واستعمال آليات نفسية لتبرير هذه العدوانية كما تبرر الاعتداء على حقوق الآخرين.

إن مسعانا لا يتحقق ولا تتضح معالمه إلا بمعرفة الأهداف التي نتوخاها منه ومن بينها :

-التعرف على مدى مساهمة "فرانز فانون" فى التحليل النفسى للظاهرة الاستعمارية وخصوصا في الجزائر، ومدى خطورة الإسقاطات التي يقوم بها الكثير من

أطباء الأمراض العقلية في البلدان المستعمرة دون التماس الفوارق الوجودية والاقتصادية والنفسانية.وهذا ما اكتشفه حينما كان طبيبا فى مستشفى البليدة.

-بيان السجال العميق بينه وعدد من فلاسفة الحداثة الذين شكلت أطروحاتهم تبريراً للاستعمار ودعوة إلى العنصرية من خلال اعتبار الغرب مركز العالم وحضارة العقل في مقابل حضارات الأطراف او الهامش فى أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

-تعريف الجمهور العربى بكتابات فرانز فانون وعلاقة المستعمَر مع المستعمِر من منظوري التحليل النفسى والطب النفسى، الذي هو التخصص الأكاديمي لفرانز فانون في ظل انعدام الدراسات العربية التي تعنى بهذا المجال.

ستعتمد الدراسة على منهجية تحليل الخطاب الاستعماري من خلال كتابين أساسيين هما : كتاب "بشرة سوداء أقنعة بيضاء" وكذا كتاب "معذبو الأرض" وبالاستناد إلى نظرية ما بعد الاستعمار أو الكولونيالية التى طرحت مجموعة من الإشكاليات الجوهرية التى تتعرض لعلاقة الأنا بالآخر أو علاقة الشرق بالغرب أوعلاقة الهامش بالمركز، أو علاقة المستعمر بالشعوب المستعمرة الضعيفة . وذلك بهدف فضح الخطاب الاستعماري الغربى وتفكيك مقولاته المركزية التي تعبر عن الغطرسة والهيمنة والاصطفاء اللوني والعرقي والطبقي .

1- المولد والخلفية الفكرية لفانون:

1.1- النشأة والاصل::

ولد ابراهيم فرانز فانون(*Frantz Fanon*) عام 1925، في فور-دو-فرانس بالمارتينيك[1]، وسط عائلة برجوازية صغيرة، كان والده يعمل بالجمارك وأمه تمارس التجارة الحرة.[2] عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية وترعرع في تلك المستوطنة، انخرط بداية شبابه في صفوف القوى الديغولية.

تعرف فانون على الطبيب فرانسوا توسكيل(François tosquelle)، مما شكل تحولا حاسما في حياته، سواء فيما يخص الطب النفسي، أو ما يخص آراءه والتزاماته واتضحت لديه نقطة التقاطع بين ما هو جسدي وما هو نفسي وما هو تاريخي.

1 - فرانز فانون، معذبو الارض، *ترز*: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، ط3، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1979، ص.17.

2- Cheurfi Achour, Dictionnaire de la révolution Algérienne 1954-1962, Casbah edition, Alger, 2009 , p.151.

كانت أول كتابات فرانز فانون هو كتاب "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء " peau noir masque blancs " وهو عبارة عن دراسة نفسية للمشاكل التي يواجهها العرق الأسود بسبب الاستعمار العنصري العرقي، وبين فيه تأثيرات العنصرية في شخصية الزنوج المغلوبين على أمرهم صدر هذا الكتاب عام 1952، أما كتابه الثاني "العام الخامس للثورة الجزائرية او سيوسيولوجيا الثورة révolution de la "5éme Année algérienne الذي صدر في باريس عام 1959 ، والذي تحدث فيه عن حجاب المرأة وكذا دور وأهمية الراديو كوسيلة إعلامية.

كتابه الثالث كان بعنوان معذبو الأرض Les Damnées de la terre(1961م) وفيه يرى فانون أن باستطاعة الجزائريين الحصول على الاستقلال عن طريق العنف الثوري وحده.يقول محمد الميلي"جاء كتاب معذبو الأرض في فترة مناسبة اذن، لأنه استطاع من خلال التجربة التي حصلها مؤلفه في ظل الثورة الجزائرية ان يطرح قضايا تعيق الثورة الجزائرية، والمظاهر السلبية للاستقلالات الشكلية..."[3]

وله ايضا كتاب "من أجل افريقيا » pour la revolution africaine "الذي ظهر بعد وفاته وهو مجموعة من المقالات ظهرت معظمها في جريدة، المجاهد حيث ركز في هذا الكتاب على التعذيب والتقتيل وكل الأنواع الوحشية، التي تتخذها كل عالقة بين السيد المحتل وبين العبد الذي سلط عليه الاحتلال

في ديسمبر 1960، وبينما هو في تونس اكتشف فانون إصابته بمرض اللوكيميا، وبعد أيام قلائل من إصدار كتابه معذبو الأرض، توفي فانون سنة 1961 عن عمر يناهز الواحد والستين سنة، وكان قد ترك رسالة إلى أصدقائه يطلب منهم دفنه في الجزائر في مقبرة للشهداء.[4]

2.1- العوامل المؤثرة في فكر "فرانز فانون:

1-2-1-التجارب الشخصية:

3 - الميلي محمد، فرانز فانون والثورة الجزائرية، مطبعة زرياب، لبنان، 1973، ص43.

4 - هيلتون باليك، فرانز فانون وسيكولوجية الاضطهاد، تر، صالح الرزوق، الموقع https://www.almothaqaf.com/memoir/895457.html: تاريخ التصفح :س 10-30 يوم 2020-10-06

عايش " فانون" العديد من الأحداث الكبرى التى مرت بالعالم والقارة الأفريقية كالحرب العالمية الثانية وموجات التحرر الوطنى خاصة الثورة الجزائرية.[5]

وذكر فانون انه خلال انخراطه فى الجيش الفرنسى واجه ظاهرة الاستعلاء العرقى التى مارسها الجنود البيض على الجنود السود المدافعين عن دولة فرنسا، حيث تم عزل الجنود السود عن القوات المسلحة الفرنسية، من أجل الحفاظ على النقاء العرقى للجيش الفرنسى وهذا الأمر زاد من إحساسه بالغبن التاريخى والاجتماعي، الأمر الذي دفعه للمناداة بتحرير الإنسان الأسود من ذل العرقية البيضاء .

وقد أتاح له وجوده في الجزائر، الفرصة الكاملة من أجل التعرف عن قرب على أوضاع الشعب الجزائري وملامسة مدى الظلم والقهر الذي فرضه الاستعمار عليه على مدار قرن من الزمان، وخلال فترة تدريبه العسكري تحسس فانون بوادر ثورة جزائرية كبرى هدفها الإطاحة بالنظام المستعمر.[6]

1-2-2- الأسرة.

لم يكن للأسرة دور ملموس في تشكيل الوعي السياسي لفانون، فأسرته كانت من الطبقة البرجوازية السوداء، والتى نشأت في كنف الاستعمار واستفادة من وجوده كما كانت في عزلة ثقافية عن السواد الأعظم من المجتمع الأفريقي . إلا أن فانون اتخذ منحنى مغايرا لفكر أسرته تماما، ففي حين كانت أسرته ترحب بالتعامل مع المستعمر لتحقيق مصالحها كان فانون يرى ضرورة مقاومة الاستعمار عن طريق العنف الثوري.

إلا أنه لا يمكننا أن ننكر دور أسرة فانون تماما في تشكيل وعيه وفكره السياسي. حيث بفضل أسرته الميسورة الحال ماليا تمكن فانون من إكمال دراسته العليا في الجامعات الفرنسية و دراسة الطب النفسي، مما سمح له بالاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية والثقافة الأوروبية .

1-2-3- التعليم.

بعد نهاية الحرب، واصل"فانون" دراسته فى الثانوية وتتلمذ فيها على يد واحد من رواد حركة الزنوجة ألا وهو "إيمي سيزارAimé Césaire" .

وفي مقابل الخدمات التي قدمها في الحرب قدّمت له منحة لإتمام دراسته حيث انخرط في كلية الطب بمدينة ليون، وكان في نفس الوقت يتابع دراسته في الفلسفة،

---

5 - طنطاوي طه، مقاومة الاستعمار فى فكر فرانز فانون، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، جامعة القاهرة، 2009، ص 2.

6 - المرجع نفسه، ص 8.

حيث كان متأثرا بهيجل، ماركس لينين،هيدجر وسارتر كما كان منهمكا في المطالعة التي شملت الأنتربولوجيا، المسرح والطب النفسي وتقرب خلال هذه الفترة من جماعات المثقفين في دوائر اليسار التي كانت تجتمع حول « العصور الحديثة » التي كان قد أنشأها ''جان بول سارتر'' أو مجلة " الفكرesprit " أو مجلة الحضور الإفريقي وكانت له مشاركة في عدة مناقشات فلسفية وسياسية .[7]

1-2-4- الزنوجة لدى إيمي سيزار:

عد المارتينيكي إيمي سيزار (1913-2008) أحد مؤسسي الحركة الزنجية المناهضة للاستعمار وأكثر الشعراء والكتاب السياسيين، الذي حارب التمييز والعنصرية وسعى إلى تغيير صورة الإنسان الملون والانتقال به من حال الانطواء على الذات والعجز عن المبادرة إلى وضع الثورة على الواقع. وصنع مصيره بنفسه والتسلح بالمعرفة والإرادة في سبيل الانعتاق من الظروف السيئة وتشييد ظروف حسنة.[8].

لقد عانى صاحب «المعذبون في الأرض» والكاتب المارتينيكي «أيمي سيزار» من العنصرية الممارسة تجاه الزنوج، وكل واحد قاوم الاستعمار ومعاداة الزنوجية وخلفياتهما الأيديولوجية بالفكر والقلم. حيث يقول فرانز فانون "إن اكتشاف وجود حضارة زنجية في القرن الخامس عشر لن يزودني بشهادة على إنسانيتي . إن الماضي أردنا أم لم نرد، لن يستطيع بحال من الأحوال أن يقودني في الحاضر".[9]

1-2-5-جان بول سارتر : Jean-Paul Sartre

لقد كان لجان بول سارتر تأثير كبير على كتابات فانون ويرجح البعض بأنه لم يكن لكاتب من نفوذ لدى فانون ما كان لدى سارتر حيث يعتقد أن فانون مدين إلى سارتر فى العديد من المفاهيم وتحليله لظاهرة العنصرية التى يتعرض لها السود والأفارقة . وهذا ما اوضحته المفكرة الوجودية الشهيرة "سيمون دو بوفوارSimone de Beauvoir " فى كتابها "قوة الأشياء" أن فانون الذي عرفته عن كثب قد ارتبط بالفيلسوف جان بول سارتر

---

7 - كبير سليمة، ، فرانز فانون، مندوب الثورة الجزائرية في القارة الافريقية، تر، احمد فريطيس، ط 2، المكتبة الخضراء للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص11

8 - الخويلدي زهير، طرق الانعتاق من الكولونيالية عند سيزار وفانون، موقع www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=615180 تاريخ التصفح: الساعة 16.43 يوم 05-09-2020

9 -فرانز فانون، بشرة سوداء اقنعة بيضاء، تر : خليل احمد خليل، ط1، دار الفارابي، الجزائر، 2004، ص 202.

ارتباطا مؤسسا على الشراكة فى المواقف ضد الاستعمار الفرنسى، وفى تأويل عنف الخاضعين للاستعمار على أنه ليس بظاهرة عدوانية وإنما هو مقاومة مبررة أخلاقيا[10].

1-2-6-الماركسة:marxisme

ليس هناك من ينكر تأثر فرانز بالماركسية خصوصا أن تلك الأفكار كانت المسيطرة فى ذلك العهد نتيجة القطبية الثنائية والصراع السياسى الخفى بين أكبر قوتين تحكمان العالم، كما أن الفكر الاشتراكى كان قائما على نصرة القضايا العادلة وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ودعم الطبقة العمالية البسيطة مما جعل فانون يفتح أمامه باب تفسير ظاهرة الاستعمار ليعطى لنظريته الشرعية، إلا انه ورغم تأثر فانون بالفكر الماركسى، الا انه رأى ان الماركسية لا تفسر الظاهرة الكولونيالية من كل زواياها كما أن مصطلحات ماركس قاصرة على أن تطال الدراسات النفسية للاستعمار وبهذا رأى أن النظرة الطبقية عند ماركس كانت اجتماعية اقتصادية عند الاشتراكية، وان مجال تمثلها هي ثنائية العبد والسيد، بينما الطبقية عند فانون كانت نفسية.[11]

1-2-7-هيجل: Hegel

يعتبر فرانز فانون من المفكرين الذين لم يكتفوا بتفسير وشرح موقف هيغل وإنما أضافوا لجدلية السيد والعبد جدلية جديدة هي جدلية السيد والزنجي. وجاء ذلك بشكل صريح في عنوان الفصل السابع من كتاب :بشرة سوداء وأقنعة بيضاء وهو :الزنجي والاعتراف.حيث يرى فانون أنّ الإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما يفرض نفسه على إنسان آخر بهدف الاعتراف به .

وهذا يعني أنّ فانون يدعو إلى قلب كامل، ليس للأوضاع والمستويات الاجتماعية والثقافية والمنزلة القانونية وإنما إلى قلب الفكر نفسه معتمداً في ذلك على رأي فيخته من أنّ الأنا تفرض نفسها بالمعارضة، ولكن يجب النظر إلى هذه المعارضة من زاويتين: زاوية

---

10 - ازراج عمر، فرانز فانون مثقف الحرية الذي حاور الفلسفة الغربية، الموقع:

تاريخ التصفح:الساعة: 30-14 يوم 07.09.2020.- https://alarab.co.uk/

11 – بختي دحمور منصور، العنف عند فرانز فانون، الموقع:
تاريخ التصفح https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=406161
:الساعة 12.00 يوم 11-09-2020

تقول نعم للحياة وللحب وللكرم، وزاوية تقول لا لإذلال الإنسان أو استغلال الإنسان أو احتقاره، وكّل ذلك من خلال ما يسمّيه بالفعل أو الممارسة.[12]

1-2-8- فرانسوا توسكيل: François Tuskel

توسكيل الطبيب الأسباني الأصل الذي عمل مع فانون في مستشفي "سان البان" عمل على زيادة القدرات المعرفية لدى فانون من خلال مده بكافة أساليب العلاج النفسي والاجتماعي وكيفية تأهيل المرضي مع الظروف المحيطة بهم، ويخص هنا بذكر المرضى الذين يعانون من حالات الاغتراب والاقتلاع من الجذور وليس أي مرضى نفسي[13] .

2- سيكولوجيا الاستعمار عند فانون:

2-1-مفهوم الاستعمار اللغوي و الاصطلاحي :

من المفيد التعرض لظاهرة الاستعمار بالتعريف به لغة و مفهوما، و ذكر أسبابه وتحديد أهدافه وضبط خصائصه، والنتائج المترتبة عنه، فمن حيث التعريف بالاستعمار لغة نلاحظ ان «كلمة الاستعمار مصدر مشتق من القول استعمرت دولة ما بلادا غيرها استعمارا، اي ملكتها بالقوة و السلاح، واحتلت أراضيها، وجعلتها مقرا للكثير من سكانها غصبا، واستأثرت باستغلال ذخائرها و خيراتها قسرا، وأجبرت شعبها على إتباع سياستها القاهرة المتمثلة في استعباد أهاليها وتجميد أفكارهم النيرة ومسخ عاداتهم وأعرافهم النبيلة وإفساد أخلاقهم الفاضلة ومحو شعائر الديانات المخالفة للمستعمرين قدر الإمكان» .[14]

والحقيقة ان الاستعمار ليس مجرد نهب اقتصادي لخيرات المستعمَر واستيلاء على أرضه وسلب خيراته بل « يشكل الاستعمار بنية فكرية و نسقا مفهوميا متكاملا، فهو بالأساس خطاب و رؤية، وكل مقاومة للاستعمار إذا لم تتجه إلى تفكيك مسلمات خطابه

12 - Frantz Fanon, Peau noire, masque blancs, Bejaia, Algérie, Editions Talantikit,1952، p.175-180.

13 - طنطاوي طه، مرجع سابق، ص 8.

14 - بن ناصر الشثري محمد، التنصير في البلاد الاسلامية، ط1، دار الحبيب، الرياض، 1998، ص61.

و فضح مقولاته و نقد مرجعياته الثقافية و الإيديولوجية، ستبقى مقاومة للشكل و ليس للجوهر»[15].

2-2-مفهوم الاستعمار عند "فانون" :

يرى "فانون" أنّ الاستعمار «عبارة عاطفية أوجدها المحتل لنفسه، فهي حسب رأيه تنقل المشكل من المستوى الوطني إلى نطاق علم النفس، فالديمقراطيون الفرنسيون الذين قرروا أن يطلقوا اسم الاستعمار على الغزو والاحتلال العسكري» [16] قد تعمدوا بهذا تبسيط الأحداث والوقائع وهو أمر لا مبرر لوجوده في نظر فانون فبالرغم من أن الاستعمار حافظ على نفسه كقيمة، وكحقيقة في البلاد المستعمرة وأثبت وجوده فيها فإن التاريخ لا يزال ينكره، كما تنكره الإرادة الوطنية فلا يمكننا أن نصدق ما يقال أن الدولة الاستعمارية لها ايجابيات رغم ما تقوم به من تشييدات ومحاسن .[17] كما يرى أن الإستعمار هو نفي الصفة الإنسانية عن الشعوب المستعمَرة وتحويلها إلى أشياء الامر الذي جعل وائل حلاق يقول «لقد مثلت الكولونيالية الفرنسية ومستشرقوها شكلا بشعا من الوحشية والقسوة، ما يعني القول ان سياساتهم وممارساتهم — والتي ارتبطت بسيادتهم — كانت أكثر تمييزا وتعسفا من سياسات وممارسات القوى الكولونيالية الأخرى»[18]

كما يؤشر الوضع الاستعماري الحديث على المخزون النفسى الكبير من الكراهية والحقد والنظرة الدونية والاحتقار التى يحملها الانسان الغربى تجاه غيره من الأجناس الأخرى و هو المخزون الذي يدفعه إلى ارتكاب الجرائم و المجازر ضد الإنسانية دون شعور بالذنب أو تأنيب ضمير بهدف جمع المزيد من الثروات و نهب خيرات الشعوب الفقيرة باسم نشر رسالة الحضارة و إقامة الحرية و الديمقراطية.[19]

---

15 - كيحل مصطفى، سيكولوجيا الاستعمار، الموقع https://akhbarelwatane.net › سيكولوجيا الاستعمار.. تاريخ التصفح: الساعة 10.20 يوم 14-09-2020

16 - فرانز فانون، لأجل الثورة الافريقية، تر: ماريا طوق ودواليا طوق، ط1، دار الفارابي، الجزائر، 2007، ص67.

17 - المرجع نفسه، ص101

18 - وائل حلاق، *قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثي*، تر: عمرو عثمان، ط 1، الشبكة العربية للابحاث، المغرب، 2019 ، ص 202.

19 – كيحل مصطفى، مرجع سابق.

2-3-تفكيك الظاهرة الاستعمارية:

في كتاب بشرة سوداء وأقنعة بيضاء يتناول فانون مسألة على درجة كبيرة من الأهمية تتمثل في تحليله العميق للظاهرة الاستعمارية من الداخل بوصفه محللا نفسيا، مما مكنه من التوقف عند التأثيرات التي يحدثها الخضوع للمستعمر على نفسيه المستعمَرين والدور الهائل الذي يقوم به المستعمِر في مسخ المستعمَرين وتيسير خضوعهم له .

فالمستعمِر يفرض قواه العقلية والفكرية على المستعمِرين الخاضعين له بما يجعلهم يؤمنون في النهاية بأهمية هذا المستعمِر وحتمية خضوعهم له وهي عملية ليست وليدة لحظة الاحتلال لكنها عملية طويلة ومتواصلة من اجل تأمين خضوع الشعوب المستعمَرة للغزاة المتوحشين أصحاب البشرة البيضاء. والتحليل النفسي هنا يتم في ضوء ربط المعاناة الفردية للخاضعين في إطار السياق الاجتماعي الذي يشملهم من خلال هيمنة المستعمِرين الغاصبين. فالمسالة لا تتعلق بدراسة حالات فردية منفصلة بقدر ما تتعلق بإيجاد رابط اجتماعي سياقي عام يربط هذه الحالات ويتعلق الأمر بمستوى العنف والوحشية الممارسة ضد هؤلاء المواطنين المحتلين .[20]

ولذلك فان التعرف على ملامح نظريته لا يتم إلا بالولوج إلى عقله الراجح فى تنظيم الأمور، خاصة دراسته الفكر الاستعماري بطريقة سيكولوجية، وتمكنه من توضيح ماهية فكر الإنسان الإفريقى تجاه الاستعمار، وكذا معرفة نظرة المستعمر اتجاه الشعوب فى كتابه «بشرة سوداء وقناع أبيض» الذي نشر سنة 1952، حيث سلط الضوء على ازدراء الرجل الأبيض للرجل الأسود، وكشف مدى ترابط التمييز العنصري والاستعمار.

حركة الاستعمار الأوروبية التى استعبدت شعوب الأرض، كانت تقدم نفسها باعتبارها موجة حضارية جديدة تسعى لجلب الحداثة والتطور لبقاع العالم المتخلف بالرغم من أنها فى حقيقتها، جاءت كنتيجة حتمية لحالة نفسية أخرى نشأت فى فترة الاكتشافات العلمية الضخمة والثورة الصناعية التى ولَّدت في الإنسان الأوروبي حالة استعلائية جعلته ينظر للآخر بعين الدونية والاحتقار. وفي هذا الصدد يقول المفكر الفلسطيني "وائل حلاق:«ان الخاضع للكولونيالية يمكن ان يستغل ويساء استغلاله

---

20 – صالح سليمان عبد العظيم،خمسة وأربعون عاماً على رحيل فرانز فانون، الموقع:تاريخ التصفح:https://www.albayan.ae/opinions الساعة 10.20 يوم 12-09-2020

ويستعبد ويحرر ويفرض عليه التحضر او عكسه ...والغرض الحقيقي هو تحويل هؤلاء المقهورين واعادة تشكيلهم بصورة دائمة لا تتوقف...»[21]

2-4-فانون ومدرسة الجزائر في الطب النفسي

شغل فرانز فانون منصب طبيب نفسي رئيسي بمستشفى الأمراض النفسية والعقلية بالبليدة، بعد أن نال الموافقة من الإدارة الفرنسية بالجزائر، وفي هذا المستشفى تعرف على وضع البلاد بشكل كبير حيث اشرف على قسم يضم مرضى أوروبيين وجزائريين، فلاحظ «أن عدد المرضى الجزائريين أكثر من المرضى الأوروبيين إذ ضم القسم مائتي مريض جزائري في مقابل مئة و خمسة و ستون فرنسيا» [22]، و هذا فرق كبير، مما يدل على حجم المعاناة لدى الجزائريين، والحالة النفسية المتدهورة جراء ما يشاهده الجزائري كل يوم من أعمال العنف والاضطهاد والخوف ومختلف الأعمال اللاانسانية التي يعيشها في مجتمعه، وهناك اكتشف فانون أن القمع الاستعماري كان احد أهم أسباب إصابة بعض الجزائريين بالجنون [23].

كما لاحظ بعض الأعراض البادية عليهم كالرهاب المصحوب بالهذيان الحاد او المزمن والاضطرابات العصبية سواء كان في شكل ارق أو توتر نفسي شديد كالهلع و الذهول، أما بخصوص الأعراض الجسدية فتمثلت في ارتفاع ضغط الدم وكذا حالات القرحة المعدية كما شاهد العديد من حالات الذهان " psychose " والعصاب " Neurosis "[24].

استخدم فانون في البداية أسلوب العلاج الذي وضعه الطبيب توكسفيل، إلا انه اصطدام بالعديد من الصعوبات منها إن الأساليب التي جربت مع الأوربيون لا يمكن أن تنجح هي نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم عن البيئة الأوروبية، واكتشف فانون أن هذا الاختلاف يرجع إلى عوامل و أوضاع سياسية و أن الأمراض التي يصاب بها

---

21 – حلاق وائل، مرجع سابق، ص 200.

22 - بوجليدة أحمد، (د. ت)، مجلة الجيش الوطني الشعبي، الايصال و االعالم والتوجيه، عدد 367، د ت، ص 63

23 - غراب عبد القادر، فرانز فانون رجل القطيعة، تر، عبد السالم يخلف، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 2013، ص 20.

24 - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر، ذوقان قرطوط، ، ANEP دارالفارابي، ط1، الجزائر، 2004، ص 30.

الجزائريون ناتجة عن العنف الذي يمارسه الاستعمار [25]، لذا فقد ادخل فانون أساليب جديدة في العلاج الاجتماعي " Sociothérapie " كما جرب أساليب علاجية مبتكرة وفريدة باستخدام الموسيقى لعلاج المرضى.[26]

كان الطب النفسي الاستعماري تقوده (مدرسة الجزائر للطب النفسي(l'école psychiatrique d'Alger) برئاسة "انطوان بورو Antoine Porot " الذي يقول عن "أهلي شمال إفريقيا L' indigéns nord africain " أنّه كسول، لص، عرضة للسلوكات الهستيرية، والميول الانتحارية والإجرامية، عاجز عن استيعاب المجردات، وإذا كان لا يخفى ما في التسمية من تعميم، فإن «تجاهل السياقات التاريخية الاجتماعية، والظروف الاستعمارية، وما لها من تأثير أمر واضح، بل والأدهى هو استبدالها بتفسيرات بيولوجية خلقية تتعلّق بعدم اكتمال نمو دماغ "الأهالي" فهم بدائيون يقعون في حالة تتوسط الأوروبي والحيوان لأن "بنية دماغ الشمال أفريقي تفسر كسل الأهالي وعجزهم الفكري والاجتماعي، واندفاعهم الحيواني».[27]

لذا فقد اكد " فانون" بأن كل مقاربة نزيهة لمعرفة المرض العقلي يجب أن تمر عبر تفهم الثقافة التي تشبع منها المريض . وانه من الضروري تناول المرض العقلي عند الجزائري المسلم في إطار الفهم العميق للثقافة التي يبرز فيها استيعاب الثقافة الأصلية للشخص المغاربي من أجل الفهم الحقيقي للمرض، « ومع الجيل الثالث للأطباء النفسيين من أمثال ف. فانون و ايف بيليسيي**Eve Bellesi** و غ. باسكاليس Pascalis الذين كان لهم احتكاك واسع واهتمام بالغ بالظاهرة السيكوبوتولوجية لدى الشخص المغاربي ظهر تيار اثنوسيكوباتولوجي مهد لتحول حقيقي يعترف بثقافة المريض العقلي في المجتمع المغاربي و التعجيل بإنهاء هيمنة النماذج السائدة المتأثرة بالنظرة الكرابلينية القديمة العضوية الوراثية بقيادة "أ. بورو " التي لم تكن تعير أي اهتمام لمرجعية الإنسان المغاربي الثقافية المختلفة عن الثقافة الأوروبية».[28]

---

25 - الميلي محمد، مرجع سابق، ص 09.

26 - الميلي محمد، مرجع سابق، ص 24.

27- Fanon Frantz, ,Les damnés de la terre, paris, Maspero،1970, p223

28- Berthelier Robert, l'Homme maghrébin dans la littérature psychiatrique, Ed, l'harmattan, Paris،1994.p.p161-163.

كما أدى "فانون" دورا مركزيا فى دحض أطروحات علم النفس الاستعماري، الذي مثل الفرنسي "أوكتاف مانونيOctave Mannoni "أبرز أقطابه،حيث حثّ "فانون" على النظر إلى ظاهرة الإحتلال من خارج المنظومة الإستعمارية ودحض أطروحة " الأبوية الإستعمارية " التى نادى بها "مانونى".

هذه الأطروحة تعمل على تبرير الاستعمار وجرائمه بالارتكاز على علم نفس الكولونيالى وعقدة موت الأب، أي أن الشعوب المستعمرة هى شعوب يتيمة و وجدت فى الاستعمار ما يعوضها عن شعورها باليتم والاغتراب وأن العقدة الاتكالية عند المستعمر هى التى تجعله ناضجا للاستعمار الكولونيالى، وقد فند " فرانز فانون " فى كتابه " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء " أطروحة مانونى، «فالتبعية كانت نتيجة الحكم الاستعماري و ليست انطولوجيا للوجود الإنسانى، و ليس صحيح ما يدعيه مانونى من أن الاستعمار يجسد وجود المستعمر بحد ذاته، وعلق فانون على أطروحة مانونى بكون هذا الأخير قد قلب كل شيء رأسا على عقب، فالنظام الاستعماري هو من يعمل على جعل المستعمرين خاملين و اتكاليين، لأن الثقافة التى يريد الاستعمار تكريسها هى ثقافة غرضها الأول الإبقاء على الوضع الاستعماري كما هو، وعكس ذلك فإن المستعمر يجد متعة من استعباد رجل أخر والسيطرة عليه، لكن ما يبقى المستعمر الحقيقي مرتبطا بالوضع الكولونيالي هو الحصول على الثراء بأقصى سرعة ممكنة» [29]

وفضح "فانون" كيف حاول علم النفس الاستعماري قلب جدلية الجلاد والضحية بين المستعمَر والمستعمِر، من خلال استعار ة شخصية " بروسبيرو". الذي «يعامل خدمه بأبوية وسخاء، ثم يصبح عنصريّاً اثر تعرض ابنته لمحاولة اغتصاب من عبده كاليبان».[30]

الخاتمة: في نهاية الدراسة وبعد تحليل ماورد في مصادر ومراجع البحث، يمكن استنتاج مايلي:

اولا - إن للاستعمار وللقوة الدافعة له بنية ذهنية تتسم بالعدوانية والتعالي والشعور بالتفوق، واستعمال آليات نفسية لتبرير هذه العدوانية كما تبرر الاعتداء على حقوق الآخرين.

---

29 – كيحل مصطفى، مرجع سابق.

30 – تزغارت عثمان، معذبو الأرض يعانقون فرانز فانون، مقال في موقع،

https://alakhbar.com/ 09.00 :الساعة التصفح تاريخ–

يوم 12-09-2020

ثانيا- كشفت الدراسات النفسية للظاهرة الاستعمارية الكيفية التي يصنع بها الآخر وبالتالي المبررات للسيطرة عليه ولماذا تمت شيطنته، ومن أين تأتي هذه الأفكار، والتي تفسر لنا كيف تؤثر على تعميق الفترة التاريخية بل لدرجة التحكم بها .وكذلك كيف تلعب العوامل النفسية في تفسير مسيرة شعوب كالإسقاط والتبرير والإسناد الدفاعي ولعب دور الضحية والابتزاز العاطفي، والنرجسية، والمخاوف.

ثالثا- كشف فانون حقيقة ازدواجية الغرب في تعاطيه مع مقولات وعناوين معاصرة مثل حقوق الانسان والحرية والديمقراطية وحق تقرير المصير.

رابعا-على الرغم من الأهمية التي يعرفها هذا المفكر والمناضل من أجل التحرر والحريّة في الفكر العالمي، إلا أنه لم يلق بعدُ في الفكر العربي عموماً، وفي الفكر السياسي على وجه التحديد، المكانة المناسبة التي يتمتّع بها في الدراسات الغربية المعاصرة رغم أهمية أفكاره وآنيتها بالنسبة للثقافة العربية المعاصرة.

ولذا فاننا نقترح إنجاز دراسة شاملة حول فكر فرانز فانون، وهو في تقديرنا مطلباً قائماً بالنسبة للفكر العربي المعاصر عموماً، والفكر الجزائري على وجه التحديد.اذ تحتاج هذه القراءة النفسية الأولية إلى دراسات أخرى تتعمق في الجوانب النفسية لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر برمته بهدف فهم هذه الجوانب والدوافع المصاحبة لها.

قائمة المراجع:

1-الميلي محمد، فرانز فانون والثورة الجزائرية، لبنان: مطبعة زرياب، 1973.

2-الخويلدي زهير، طرق الانعتاق من الكولونيالية عند سيزار وفانون، موقع www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=615180 الساعة 16.43 يوم 05-09-2020

3- ازراج عمر، فرانز فانون مثقف الحرية الذي حاور الفلسفة الغربية، الموقع:- https://alarab.co.uk/ الساعة: 30-14 يوم 07.09.2020

4-بوجليدة أحمد، الاتصال والعالم والتوجيه، **مجلة الجيش الوطني الشعبي**، الجزائر، عدد 367، (د. ت).

5-بختي دحمور منصور، العنف عند فرانز فانون، الموقع: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=406161 الساعة 12.00 يوم 11-09-2020

6-حلاق وائل، *قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثي*، تر: عمرو عثمان، المغرب: الشبكة العربية للابحاث، ط 1، 2019 .

7-كيحل مصطفى، سيكولوجيا الاستعمار، الموقع https://akhbarelwatane.net › سيكولوجيا الاستعمار.. تاريخ التصفح: الساعة 10.20 يوم 14-09-2020

8- هيلتون باليك، فرانز فانون وسيكولوجية الاضطهاد، تر، صالح الرزوق، الموقع: https://www.almothaqaf.com/memoir/895457.htm تاريخ التصفح :س 10-30 يوم 06-10-2020

9-طه طنطاوي، ، مقاومة الاستعمار فى فكر فرانز فانون، رسالة ماجستير، القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، جامعة القاهرة، 2009 .
10-كبير سليمة، فرانز فانون، مندوب الثورة الجزائرية في القارة الافريقية، تر، احمد فريطيس، الجزائر: المكتبة الخضراء للنشر والتوزيع، ط2، (د ت).
11-ناصر الشثري محمد، التنصير في البلاد الاسلامية، الرياض: دار الحبيب، ط1، 1998.
12-فرانز فانون، لأجل الثورة الافريقية، تر: ماريا طوق ودواليا طوق الجزائر: دار الفارابي ط2007، 1
13- فرانز فانون، بشرة سوداء اقنعة بيضاء، تر : خليل احمد خليل الجزائر: دار الفارابى، ط1، 2004
14- فرانز فانون، معذبو الارض، ترز سامي الدروبي وجمال الأتاسي بيروت: دار الطليعة للنشر، ط3، 1979.
15- فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر، ذوقان قرطوط، الجزائر: دارالفارابي، ط1، 2004
16-صالح سليمان عبد العظيم، خمسة وأربعون عاماً على رحيل فرانز فانون، الموقع: https://www.albayan.ae/opinionsالساعة 10.20 يوم 12-09-2020
17-تزغارت عثمان، معذبو الأرض يعانقون فرانز فانون،مقال في موقع : https://alakhbar.com/ - الساعة 09.00 يوم 12-09-2020
18-غراب عبد القادر، فرانز فانون رجل القطيعة، تر: عبد السالم يخلف، الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2013، 2
19- Achour cheurfi, , Dictionnaire de la révolution Algérienne 1954-1962, Alger : casbah edition, 2009.
20- Berthelier robert l'homme maghrébin dans la littérature psychiatrique, Paris :ed, l'harmatta, 1994
[21] - Fanon frantz,,Les damnés de la terre, paris: Maspero , 1970.
22 - Frantz fanon , Peau noire, masque blancs, , Algérie; editions talantikit ;2013